وصايا القرآن في الشدائد

٢١ محرم/١٤٤١

الخطبة الأولى:

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء:١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا، يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعْ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب:٧٠-٧١].

أما بعد، فإن أعظم وأجل ما يفزع إليه الخلقُ إذا نزلت بهم المصائب والشدائد، واشتدت عليهم الخطوب والكروب= كتابُ الله تعالى؛ فإن الله أنزله نورا وهدًى وشفاء وتثبيتا ورحمة.

قال تعالى: **﴿وَكُلًّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ﴾** [هود: ١٢٠].

وقال سبحانه: **﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾** [الإسراء: ٨٢].

وإليكم معاشرَ الأحبة قبساتٍ من وصايا القرآن وأنواره وتوجيهاته نستعين بها على ما يصيبنا وأمتَنا من الكرب والبلاء، والله يتولانا والمسلمين برحمته، ويحفظنا بحفظه، هو حسبنا ونعم الوكيل.

فاتحتها يا عباد الله: أن تعلموا ان أحكام الله الشرعيةَ والقدرية جارية على الحكمة، فالله تعالى لا يقضي شيئا إلا لحكمة، علمها من علمها وجهلها من جهلها **﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ﴾** [التين: ٨].

أخرج الإمام أحمد من حديث أنس بن مالك ﷺ عن النبي ﷺ قال: (**عَجِبْتُ لِلْمُؤْمِنِ،**

إِنَّ اللهَ لَا يَقْضِي لِلْمُؤْمِنِ قَضَاءً إِلَّا كَانَ خَيْرًا لَهُ).

واعلم أيها الحبيب أن ما يجري عليك من قدر الله إن صبرت له واحتسبت كانت عاقبته إلى خير وعافية في الدنيا والآخرة، وإن تسخطت واعترضت فلا تلومن إلا نفسك (**فَمَنْ رَضِيَ فَلَهُ الرِّضَا، وَمَنْ سَخِطَ فَلَهُ السُّخْطُ**)[1].

عباد الله: الابتلاء سنة الله في الأولين والآخرين ﴿**أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ**﴾ [العنكبوت: ٢].

ولله تعالى فيه حكَم وأسرار؛ من أعظمها ما يحصل به من تمايز الناس، فيظهرُ المؤمن من المنافق، والصادق من الكاذب، والناصح من الخائن ﴿**وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ**﴾ [العنكبوت: ٣]، ﴿**وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ وَلَئِنْ جَاءَ نَصْرٌ مِنْ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ أَوَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِي صُدُورِ الْعَالَمِينَ * وَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْمُنَافِقِينَ**﴾ [العنكبوت: ١٠-١١].

واعتبروا في هذا -رحمكم الله- بحال النبي ﷺ وأصحابه يوم الخندق، إذ اجتمعت الأحزاب، وزاغت الأبصار، وبلغت القلوب الحناجر، وظُنَّت بالله الظنون، فقال أهل الإيمان -واثقين بربهم-: ﴿**هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا**﴾ [الأحزاب: ٢٢]، فأين هذا من قَولة أهل الشك والنفاق ﴿**مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا**﴾ [الأحزاب: ١٢].

عباد الله: إن كيد عدونا شديد، ومكرَه كبير، لكنه ضعيف ذاهب، ومضمحل زائل، إذا واجهناه بحقائق الإيمان، وعُدَد الصبر والتقوى، مع الأخذ بأسباب القوة والمدافعة.

ألم تسمعوا قول ربكم جل وعلا: ﴿**فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا**﴾ [النساء: ٧٦]، وقوله: ﴿**وَمَا كَيْدُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ**﴾ [غافر: ٢٥].

بل أخبر سبحانه أن كيدهم ينقلب عليهم، فقال:

﴿**قَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَأَتَى اللَّهُ بُنْيَانَهُمْ مِنَ الْقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِنْ فَوْقِهِمْ وَأَتَاهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ**﴾ [النحل: ٢٦].

---

(١) جزء من حديث أخرجه الترمذي وابن ماجه عن أنس بن مالك ﷺ.

وقال عز شأنه: ﴿**وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ**﴾ [فاطر: ٤٣].

فمتى استعان المؤمنون بربهم، وصبروا واتقوا، وأعدوا واستعدوا= لم يكن بينهم وبين النصر إلا ساعةٌ من ليل أو نهار.

وإن الله تعالى لم ينصر رسله وأنبياءه وأتباعهم بعدد ولا عُدة، وإنما نصرهم بما قام في قلوبهم من الصبر والثبات واليقين والافتقار وصدق اللَّجَأ إليه.

قال تبارك اسمه: ﴿**وَكَأَيِّنْ مِنْ نَبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ * وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ * فَآتَاهُمُ اللَّهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ الْآخِرَةِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ**﴾ [آل عمران: ١٤٦-١٤٨].

معاشر الإخوة: إن أعظم خطر يتهددنا، ونستوجب به الضَّيعة والهَلكة وخِذلانَ الله لنا= هذه الذنوبُ والمعاصي التي تكسِبها أيدينا، ولا والله لن تقوم لنا قائمة، ولن يصير لنا شأن حتى نصلح ما بيننا وبين الله تعالى، واعتبروا بحال صحابة النبي ﷺ يوم قال الله لهم في أحد: ﴿**أَوَلَمَّا أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنْفُسِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**﴾ [آل عمران: ١٦٥].

ولكم أن تتخيلوا أن هذا العتاب خوطب به أطهرُ جيل عرفته البشرية، فلم يُغْن عنهم حين خالفوا أمر رسول الله ﷺ ما اختُصوا به من الشرف والفضيلة، وصدق الله إذ يقول: ﴿**وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ**﴾ [الشورى: ٣٠].

أقول ما تسمعون، وأستغفر الله العظيم لي ولك فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية:

الحمد لله رب العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، صلى الله وسلم عليه وعلى آله وأتباعه إلى يوم الدين.

أما بعد، فيا معاشر الأحبة: إن من وصايا القرآن في المحن والشدائد -بل في كل وقت لكنها هنا آكد- الاعتصامَ بحبل الله، ونبذَ الفرقة والاختلاف، فالوَحدة في الشدائد ثبات وقوة، والفرقة هزيمة وضعف، فاعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا.

إن أسمى ما يتمناه ويرجوه عدوُّنا أن يرانا مفرَّقين مشرذمين متناحرين متباغضين، فسدوا عليه السبل، ولا تُطْمعوه **﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾** [آل عمران: ١٠٥]، **﴿وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾** [الأنفال: ٤٦].

"المؤمنون جماعة واحدة، ويد واحدة، وجسم واحد، وبنيان واحد"(٢).

﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ﴾ [التوبة: ٧١].

و**(الْمُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا)**(٣).

هذه رسالة الوحي فعُوها وصوغوها واقعا يُفرح كل مؤمن، ويَغيظ كلَّ خَوَّان منافق، وإن لكم في التاريخ القريب والبعيد عبرةً؛ ما اجتمعت كلمة المسلمين يوما واتحدوا على عدوهم إلا كان النصر والظفَر حليفَهم، وما تفرقوا واختلفوا إلا سلط الله عليهم عدوهم فسامهم سوءَ العذاب، وإنه لَلَّذي قال -بأبي هو وأمي- ﷺ: **(إِنَّ اللهَ زَوَى لِي الْأَرْضَ، فَرَأَيْتُ مَشَارِقَهَا وَمَغَارِبَهَا، وَإِنَّ أُمَّتِي سَيَبْلُغُ مُلْكُهَا مَا زُوِيَ لِي مِنْهَا، وَأُعْطِيتُ الْكَنْزَيْنِ الْأَحْمَرَ وَالْأَبْيَضَ، وَإِنِّي سَأَلْتُ رَبِّي لِأُمَّتِي أَنْ لَا يُهْلِكَهَا بِسَنَةٍ عَامَّةٍ، وَأَنْ لَا يُسَلِّطَ عَلَيْهِمْ عَدُوًّا مِنْ سِوَى أَنْفُسِهِمْ، فَيَسْتَبِيحَ بَيْضَتَهُمْ، وَإِنَّ رَبِّي قَالَ: يَا مُحَمَّدُ إِنِّي إِذَا قَضَيْتُ قَضَاءً فَإِنَّهُ لَا يُرَدُّ، وَإِنِّي أَعْطَيْتُكَ لِأُمَّتِكَ أَنْ لَا أُهْلِكَهُمْ بِسَنَةٍ عَامَّةٍ، وَأَنْ لَا أُسَلِّطَ عَلَيْهِمْ عَدُوًّا مِنْ سِوَى أَنْفُسِهِمْ، يَسْتَبِيحُ بَيْضَتَهُمْ، وَلَوِ اجْتَمَعَ عَلَيْهِمْ مَنْ بِأَقْطَارِهَا** - أَوْ قَالَ مَنْ بَيْنَ أَقْطَارِهَا - **حَتَّى يَكُونَ بَعْضُهُمْ يُهْلِكُ بَعْضًا، وَيَسْبِي بَعْضُهُمْ بَعْضًا)**(٤).

عباد الله: إن ما ترونه من الإيغال في الإفساد والقتل والدمار مؤْذِن بقرب فرج الله ونصره، وقد مضت سنة الله في الطغاة والمتكبرين أنه يأخذهم ويقصِمهم وهم في أَوْج علوهم وكبريائهم، وذلك أبلغ في إذلالهم، وأوجب لشدة عقوبتهم.

ألا تسمعون قول الله جل وعلا: **﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ * فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ**

---

(٢) إشارات على الطريق (ص٤٧) لعلي القرني.

(٣) أخرجه الشيخان من حديث أبي موسى الأشعري ﷺ.

(٤) أخرجه مسلم من حديث ثوبانَ ﷺ.

ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأنعام: ٤٤-٤٥].

وقوله ﷺ: (**إِنَّ اللَّهَ لَيُمْلِي لِلظَّالِمِ حَتَّى إِذَا أَخَذَهُ لَمْ يُفْلِتْهُ**) ثُمَّ قَرَأَ: ﴿**وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ**﴾[٥] [هود: ١٠٢].

اللهم اقسم لنا من خشيتك ما يحول بيننا وبين معاصيك، ومن طاعتك ما تبلغنا به جنتك، ومن اليقين ما تهون به علينا مصائب الدنيا، ومتعنا بأسماعنا وأبصارنا وقوتنا ما أحييتنا، واجعله الوارث منا، واجعل ثأرنا على من ظلمنا، وانصرنا على من عادانا، ولا تجعل مصيبتنا في ديننا، ولا تجعل الدنيا أكبر همنا ولا مبلغ علمنا، ولا تسلط علينا من لا يرحمنا.

ربنا أعنا ولا تعن علينا، وانصرنا ولا تنصر علينا، واهدنا ويسر الهدى لنا، وانصرنا على من بغى علينا، ربنا اجعلنا لك ذكارين، لك شكارين، لك رهابين، لك مطواعين، لك مخبتين، إليك أواهين منيبين، ربنا تقبل توباتنا، واغسل حوباتنا، وأجب دعواتنا، وثبت حجاتنا، واهد قلوبنا، واسلل سخيمة صدورنا.

اللهم انصر دينك وكتابك وسنة نبيك، وعبادك الذين يجاهدون في سبيلك؛ نصرة لدينك، وإعلاء لكلمتك، اللهم انصرهم وثبتهم، وقوهم وأعنهم، اللهم صوب رميهم، وسدد رأيهم، واجمع على الحق كلمتهم، اللهم عليك بعدوك وعدوهم.

ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار، وصل يا ربنا وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه، وأنت يا مؤذن أقم الصلاة.

---

(٥) أخرجه الشيخان من حديث أبي موسى الأشعري ﷺ.